السعوديّة تعتبر طَلب قطر تَدويل الحرمين الشريفين عُدوانًا و"إعلان حَربٍ " تحتفظ بحقّها في الرّد عليه..

هل هذا تهديد ُ بعمل ٍ عسكري.. ومتى؟ ولماذا لم ينف ِ وزير خارجية البحرين صراحة ً تقارير صحافي ّة عن قاعدة ٍ م ِصري ّة ٍ في جزيرة حوار؟ وهل عادت الأزمة للم ُرب ّع الأول؟

عبد الباري عطوان

لم يُعلن وزراء خارجية الدول الأربع التي تَفرض حصار بريًّا وبحريًّا وجويًّا على دولة قطر عن التخاذهم أي إجراءات، أو خُطط "عِقابيّة" جديدة، في المُؤتمر الصّحافي الذي عقدوه في خِتام اجتماعهم الثاني في المنامة اليوم (الأحد)، ولكن أجواء هذا المُؤتمر كانت ذات طابع تصعيدي، ولا نَستبعد أن تكون هُناك "تفاهمات" جرى التوصّل إليها، وبقيت سريّة، ربّما نرى تطبيقًا عمليًّا لها في الأيام، أو الأسابيع المُقبلة.

كثيرون توق فوا عند ورود كلمة "الحروار" في البيان الخرتامي الرسمي، وتوق عوا أن ي شكل ورود هذا التعبير، وللمرة الأولى، م نذ بداية الأزمة قبل شهرين تقريبًا، ي عكس تراجعًا في مواقف هذه الدول، ولكن تسابق الوزراء الأربعة على التأكيد بأن الحوار سيأتي بعد ق بول دولة قطر بالم طالب الـ13، والمبادئ الستة التي جرى تحديدها في اجتماع القاهرة (5 تموز)، ومن أجل الاتفاق على آليات التنفيذ، ولن تكون ه ناك أي م فاوضات حول هذه الم طالب، وحرص السيد سامح شكري، وزير الخارجية المصري، على التأكيد على هذه النقطة، والقول على "أن التفاوض حول آليات التنفيذ الكامل والشفاف المسري، على التأكيد على هذه النقطة، والقول على "أن التفاوض حول اليات التنفيذ الكامل والشفاف بما ي خدم دول المنطقة والعالم أجمع "، والسؤال الذي ي طرح نفسه هو إذا كان الم طلوب من القطريين تنفيذ جميع الشوط دون نقاش ما معنى الحروار في هذه الحالة؟

النَّقطة الأهم والأخطر التي تَعكس التوجَّه نحو التَّصعيد من قَـِبل الدَّول الأربع، هي تلك التي تَحدث عنها السيَّد عادل الجبير، وزير الخارجيَّة السعودي، في المُؤتمر الصحافي، وعاد وأكَّدها في مُقابلة ٍ مع قناة "العربية" السعودية، وربِّما بتوجيهات ٍ من حُكومته، وأشار فيها "أن طلب دولة قطر "تدويل" الحرمين الشريفين والتدخّل في سيادة المملكة عليهما هو إعلان حرب ونحتفظ بحق الرّد على أيّ طرفٍ يُطالب بهذا التدويل"، في إشارة واضحة إلى لجنة قطر الوطنيّة لح ُقوق الإنسان بخ َطاب شكوى إلى الم ُقرّر الخاص بالأمم الم ُتّحدة المعنى بح ُريّة الدّين والع َقيدة، "م ُبدية و َلقها الشّديد إزاء تسييس الشعائر الدينيّة في السعوديّة، واستخدامها لتحقيق مكاسب سياسيّة ممّا ي ُشكّل الشّاكا عن التهاكاً صارخاً لجميع الم َواثيق والأعراف الدوليّة"، وم ُطالبتها "بف َص ْل المشاعر الم ُقدّسة عن السياسة".

مُتحد "ثون باسم الد ولة القطرية، قالوا أن بلادهم لجأت إلى هذه ِ الخَطوة، أي الذهاب إلى الأمم المتحدة واليونسكو للشّكوى، لأن الوساطات فَشِلت، والجامعة العربية مُغيّبة، ومجلس التعاون الخليجي في حال شلل، وبسبب تعاظم المُضايقات للح ُجّّاج القطريين من ق ِبل السلطات السعوديّة، ور َفض الج ِهات المسؤولة عن الح َج في السعوديّة تسجيل الح ُجّّاج القطريين إلكترونيّّا، وتأمين سلامتهم، وح َص ْر ذها ب ِهم وع ود تهم لأداء مناسك الحج عبر طريقين م َحدودين وغير م ُباشرين، واستخدام شركات طيران أ ُخرى غير الخ ُطوط الجويّة القطريّة، وهذا ي َعني "ت َصعيب" سفر الح ُجّّاج القطريين والم ُقيمين.

السعوديّة تعتبر أي حديث، م ُجرّد الحديث، عن تدويل الأماكن الم ُقدّسة مسألة ً حسّاسة جدّ ًا، ت ُشكّل انتهاكاً صارخاً لسيادتها، وتشكيك في إدارتها لها، ولا نعتقد أن هذه المسألة ت َغيب عن المسؤولين القطريين.

وي ُجادل بعض الم ُراقبين بأنه كان من الم ُمكن أن تتجنسّب السلطات السعودية أي مآخذ قد ت ُؤخذ عليها، أو اتهامات توجسّه إليها بم ُضايقة الح ُجسّاج القطريين، من خيلال السسّماح لهؤلاء بالسسّفر بالطسّريق الم ُعتادة كل عام، بقرار ِ استثنائي، ولف َترة الح َج فقط، خاصسّة انسّها تتحدسّث أن اله َدف من الم ُقاطعة ليس إلحاق الضسّرر بـ "الأشقاء " القطريين، وإنسّما بح ُكومتهم، وي َعتقد هؤلاء أن الوقت لم ي َفت بعد لاتخاذ هذه الخ ُطوة الاستثنائيسّة، ور َفع كل الق ُيود على س َفر الح ُجسّاج القطريين، أو الم ُقيمين في قطر، لأداء فريضتهم.

نَعود إلى النَّقطة المُتعلَّقة بـ"تدويل" الحَج، واعتبار السيَّد الجبير أي خُطوة في هذا الصدد تعتبر "عملاً عُدوانيَّا"، و"إعلان حرب"، وتأكيده أن بلاده تحتفظ بحق الرِّد على أي طرفٍ يعمل في هذا المجال، في إشارة مُباشرة إلى دولة قطر، فهل هذا يُؤشَّر إلى أن المملكة العربية السعوديَّة تَعتبر شَكوى دولة قطر للأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو، عملاً عدوانيَّا، وإعلان حرب، وكيف سيتم الرِّد عليه ومتى؟

هذا تلويح ٌ بالعمل العسكري، أو هكذا يـُمكن فهمه، وربـّما هذه هي المرّة الأولى التي يتحدَّث فيها مسؤول ٌ سعودي بهذه اللّهجة التهديديّة مـُنذ بداية الأزمة، وبـُكل هذا الوضوح، وممّّا يـَبعث على "القلق" في هذا الإطار أن الشيخ خالد بن أحمد آل خليفة، وزير خارجية مملكة البحرين لم ينفر مُطلقًا، وبشكل مريح وحاسم ما ترد"د من تقارير في سمُحف مصريّة وخليجيّة عن خمُطط لإقامة قاعدة عسكرية تضم قُواتًّا مرصية في جزر حوار المُواجهة لليابسة القطرية، واكتفى بالقول بأنّها ممُجرّد تقارير إعلاميّة"، في إجابة على سؤال في هذا الصدد، وأعطى نظيره المرصري، السيد سامح شكري إجابة "ممُغمَة" في هذا الخمُوص، بحديثه عن تعاون عَسكري مرصري بحريني ممُستمر منذ عمُقود. في طل فشل الوساطات جميعًا لإيجاد حل لهذه الأزمة الخليجيّة، وتمسّك طرفيها بمواقفهما الممُتشدّدة، ورَفض تقديم أي تنازلات أو تراجعات، نعتقد أنها، أي الأزمة، عادت إلى "الممُربيّع الأول"، أو "نقطة الصّفر"، والمَزيد من التّسعيد بالتّالي، والأيام أو الأسابيع الممُقبلة قد ترسُهد إجراءات "صادمة" خاصّة عن الدّول الأربع الممُحاصرة لدولة قطر.. والأيام بيننا.